مخلوقات تستحق الأمان

وفاء ياسر الرواحية

تشرق الشمس الجميلة تداعب أشعتها رموشه الوديعة من خلال النافذة.. يتناول وجبة إفطاره و يودع أمه مبتسما و يقبلها بعمق وهي تضع الفطيرة في حقيبته.

يخرج لساحة المدرسة وقت الفسحة وبيده الفطيرة يجلس بوداعة ويبدأ بقضم الفطيرة وفي ثوان سريعة يختطف احدهم الفطيرة من بين يديه ويأكلها وما أن يتدارك الموقف حتى يلكمه احدهم على رأسه ويسقطه أرضا.. يبكي ينادي و يوسعه الاخر ضربا يرفع عينيه الى سماء ليجد آخر يرمي حقيبته وكتبه.. يجري إلى الحقيبة يلملمها فيركلها خاطف الفطيرة، ويطلق ضحكة تضج بها الساحة، يجري بعيدا عن أعين الضاحكين والساخرين ليستيقظ يوما آخر ويتوسل إلى أمه أن لا يذهب الى المدرسة مرة أخرى.

نعم انه شبح التنمر الذي كنا فقط نتابعه في الأفلام ونسمع عنه في الأخبار الغربية.. كنا فقط نقرأه في المجلات.. هو نفسه بدأ يزحف إلينا ويتسلل إلى مدارسنا وشوارعنا وحدائقنا.. لقد وجد ثغرات لاقتحام بيوتنا والعبث بصغارنا.. انها العصابات التي تدخل إلى بيوتنا من خلال الألعاب الإلكترونية العنيفة التي يتسلط فيها الأبطال على الضعفاء.. إنهم مجموعة اللصوص الذين يحاولون الفتك بعقول صغارنا ويستغلون طاقاتهم فيما يفتك بالامة..

إنه انشغالنا الذي أخذهم بعيدا حيث احتضنتهم الحيتان ولقنوهم دروس العنف والاستقواء والتنمر والتسلط على الأقران.. خلق منهم كائنات تبحث عن القوة والسلطة باستضعاف زملائهم واستفزازهم بإلقاء الألفاظ التي لاتمت للطفولة بصلة.. إنها الطاقات التي كنا نعوّل عليها لبناء هذا الوطن بدت تتحول الى أشياء تشبه الوهم بل و أشد خطرا من ذلك.

إنهم كائنات ومخلوقات بريئة تستحق الأمن والأمان.. فماذا يغنينا أمن البلاد السياسي و الاقتصادي اذا كانت الكارثة في النواة الاساسية للمجتمع.. الأسرة التي لا يجد الطفل فيها من يحتضنه ويشعره بالأمان!!!

إذا لم يجد الصغار الأمن حيث يتعلمون ويكتسبون اول دروس المعرفة و النور فكيف ينشأ من يوسع ضربا بحجة التأديب.. وكيف يترعرع من تتشبع نفسه بالإحراج والاستفزاز بحجة قوانين التربية واعتقادات خاطئة؟!.. وكيف سيبني لنفسه شخصية اذا لم يجدها في بيته و بين أهله و ذويه؟!!

رفقا بهذه القلوب الصغيرة.. التي اذا ما رأت لها نافذة تشرق بالامان خلقت لنفسها نار حارقة تشعلها بمن حولها لتكون لنفسها عالم منبوذ يبتعد عنه الجميع و ينأى عنه القريب.

كيف سيخرج للناس من اعتاد على القوة في ألعابه وقصصه الإلكترونية وعاش في معزل عن القوم ليخرج ويجدهم كالغرباء؟!! كيف سيتعايش معهم وهو يرى في نفسه القوة و السلطة / التسلط.. من اجل البقاء.

ما هو مصير من عايش إعلام لا يتناسب مع ديننا و ثقافتنا واكتسب منذ نعومة أظافره فنون الاحتقار والإذلال من خلال برامج كرتونية تبدو في ظاهرها بريئة وتدس السم كؤوسا دهاقا لبراعم مجتمع كان يظن أنه في منأى عن المحيط الذي تعج به الحيتان المفترسة؟!

كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته.. نحن في أمس الحاجة لأطفالنا.. ليشعروا بالأمان وتحقيق الذات وغرس الثقة في أنفسهم فالوقت ليس مبكرا، وإنما هو الوقت المناسب ليعي صغارنا انهم يعيشون في عالم يمج بالخطر وعليهم بالحرص والشجاعة في الوقت ذاته.. احتضنوا عالمهم وشاكسوهم والعبوا معهم.. واصنعوا منهم أبطال الفكر والعلم والإنجاز.. قبل أن تسرق قلوبهم وتوضع في غير موضعها.

يوميات لم تكتمل

عادل الغنام

... لم يكن هناك مفر من النزول فالاشتباكات أمام منزلي هذه المرة، كل ما كنت أشاهده في التلفاز انتقل الآن الى شارعنا الضيق، والمسجد أسفل البناية تحول لمشفى ميداني.

توقعت أن أكون أول من يصل، إلا أنني اندهشت لرؤية زملائي من أماكن بعيدة في المدينة بل وعدد من أساتذتي في الجامعة أيضا.. ذعر.. صراخ.. شاب يلفظ أنفاسه.. زغرودة.. تكبير.. لم يحركني إلا نداء أحد أصدقائي ...

« الجلوكوز» بسرعة يا دكتور أحمد...

ارتديت قفازي وانكببت فوق أحدهم.. الدماء تغرق ملامحه الدقيقة.. وجه لم تنبت به تجاعيد الزمن، موت سريع، الرصاصات في الرأس والصدر، كل ما تمكنت فعله هو تغيير قفازي بين كل قتيل وآخر، عقارب الساعة الضخمة جوار المنبر تزحف في برود، عدة حركات ثم دوي انفجار آخر، هل يختبئ قتيل القنابل هناك؟ هل أستطيع أن أوقف تلك الآلة عن الدوران المميت؟ أصبح دوري مقتصرًا على إحصاء الجثث: الاسم، سبب الوفاة، التوقيت، يبدو أن تلك الليلة لن تجد صفحة عادية في دفتر يومياتي. العنوان: أول زيارة لمشفى ميداني.

علمت بوجود عيادة أخرى قريبة، قررت التوجه إليها، قطعت الشارع بصعوبة شديدة وسط الزحام والدخان، استقبلوني بلهفة وكأني أحمل في حقيبتي روح الحياة.

كانت هناك.. اعتدت على رؤيتها من نافذتي نصف المفتوحة، شعلة عشرينية تملأ بيتها والحي بأكمله حيوية وانطلاقا، تنقل بعدساتها الرقمية العالم لنا في بساطة، اليوم... صباحًا.... كان صوتها مرتفعًا على غير العادة، استطعت أن أميز صياح أمها الخالة «سعاد» تريد أن تمنعها من الخروج مقابل إصرارها على ممارسة عملها مع أنها تحصل منه على أجر زهيد.. «ميادة».. قامتها الضئيلة وعينها الواسعة المضيئة.. كانت مظلمة.. يدها تقبض على كاميرا الصحيفة الالكترونية التي تعمل بها، وجوارها ترقد خالتي «أم جرجس» صاحبة كشك الحلوى والسجائر وحكايات الطفولة..

إلى أين يا دكتور؟

لم أحتمل المكوث، انطلقت مرة أخرى بالروب الأبيض، سماعتي الطبية تتدلى كمشنقة تقلص أنفاسي، أريد أن أصل للساعة في المسجد، طوفان يعدو عكس اتجاه سيري. انفجار ثالث. أقوى هذه المرة.ارتفع لهيب النار إلى شقتي في الطابق الثاني حيث تزهر شجرة الياسمين. هل احترقت؟ أرى بصعوبة، الشرفة تنهار أمام عيني، صرخة بعيدة، هل تأتي من أعلى؟ هل صوت أمي؟ بالكاد أسمع.. «الطبيب.. قتلوه». قدماي لم أعد أشعر بهما. «أوقفوا الساعة». ندائي لم يتعد صدري الذي يزداد ضيقا أتهاوى وشفتاي بقيتا على سكونهما وصفحة يومياتي ظلت بيضاء..... (ميادة)...هي ميادة أشرف الصحفية بجريدة الدستور، والتي لقيت مصرعها بالرصاص أثناء تأديتها لعملها لتغطية التظاهرات بمنطقة عين شمس بالقاهرة.٢٠١٤